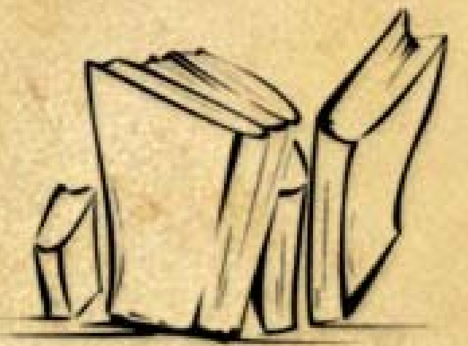
ماذا تعني الفتوة؟

صبري بن سلامة شاهين

مصدر هذه المادة:





دار بلنسية

بسم الله الرحمن الرحيم

ياسر: ما هذا البرود يا عماد؟! ما هذا البرود؟!

عماد: هذا ليس برودًا يا ياسر.

ياسر: وماذا تسميه أنت؟!

عماد: أسميه كظم غيظ، أو حسن خلق، ولكنه ليس برودًا.

عبد العزيز: ولكن يا عماد لو أخذت حقك ورددت عليه بمثل ما قال لك، فلا لوم عليك ولا عتاب.

عماد: نعم يا إخوان أستطيع أن أرد عليه، ولكني عفوت عنه وأنا أقدر على أن أنتصف لنفسي.

ياسر: ولكن يا عماد بطريقتك هذه تعطيه الفرصة أن يعاود أسلوبه معك مرة ومرة.

عماد: وإن عاد لقبيح أفعاله، فأنا لن أنساق معه وأجاريه في سلوكه.

عبد العزيز: ليس هذا صوابًا يا عماد. فلو أوقفته عند حده من أول مرة لما عاد لفعله ثانية.

عماد: لعل موقفي هذا وإحساني إليه يردعه ويخجله.

عبد العزيز وياسر: هذا النوع لا ينفع معه هذا الأسلوب.

عماد: أنا غير نادم على ما فعلت، وعمدتي في هذا السلوك قول الله – تعالى –: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ**

وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

عبد العزيز: أنت حرٌّ يا عماد.

ياسر: نعم أنت حر.

الجد: يدخل على الأولاد قائلاً:

– نعم أنت حرٌّ يا عماد. وأنتما كذلك يا عبد العزيز ويا ياسر أنتما أحرار. ولكن لا تنسون أنكم عبيد لله – عز وجل – سكت الجد قليلاً ثم قال:

– ما مناسبة هذا الكلام يا أولاد؟!

عبد العزيز: يا جدي لقد حدث خلاف بين عماد وصديقه أحمد بالمدرسة، ولكن أحمد تجرأ على عماد وسبّه سبًا قبيحًا، وكاد أن يعتدي عليه، وعماد كان سلبيًا باردًا.

الجد: أحسنت يا عماد، إذ لم ترد على صديقك وتعامله بمثل ما عاملك به. وهذا ليس برودًا ولا سلبية.

عبد العزيز: ولكن يا جدي يقول الله عز وجل: **﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾**.

الجد: أكمل الآية يا ولدي.

عبد العزيز: **﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾**.

الجد: لقد نزلت هذه الآية بعد ما مثّل المشركون بحمزة ومن قُتل معه يوم أحد. فقال المسلمون: لئن أظفرنا الله بهم لنمثلن بهم،

فنزلت الآية الكريمة فصبروا، لقوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ**﴾.

ياسر: ولكن يا جدي إن أخذت حقي ، وانتصفت لنفسي هل أكون آثمًا؟

الجد: إن شاء الله لا تكون آثمًا، لأن الآية فيها جواز رد العدوان، ولكن فيها الإرشاد إلى أفضلية العفو والصفح والغفران.

عماد: من أجل ذلك آثرت ألا أنتقم ، وآخذ حقي تعويدًا لنفسي وترويضًا لها على العفو والصفح، لعل الله أن يعفو ويصفح عنا يوم الجزاء الأكبر.

الجد: اللهم آمين ... وهذا – والله يا ولدي – خلقٌ عظيم افتقدناه. فلو أحييتموه يا فتية الإسلام فسوف يعود عليكم بالخير والبركة في الدنيا والآخرة.

عبد العزيز: وكيف يا جدي نصل إلى هذا الخلق؟

الجد: ألا يغيب عن ذهنك كيد الشيطان وعداوته لبني الإنسان فتسعى لإبطال كيده وإرغامه، وأن تقتدي برسول الله ﷺ والصالحين من بعده، وأن ترجو ثواب الله.

عماد: لو حدثتنا عما نحقق به هذا المطلب، ونتحلى بهذا الخلق.

الجد: قبل أن ندخل في هذا الموضوع، أطرح عليكم سؤالاً.

الأولاد: ما هو السؤال؟

- نعم ما هو؟

الجد: أنتم فتية وشباب، فيكم قوة وحيوية ونشاط. فماذا تعني الفتوة عندكم؟

عبد العزيز: الفتوة. هي قوة القلب وشجاعته، ومصارعة الأعداء.

الجد: وأنت يا ياسر؟

ياسر: الفتوة: مغالبة الخصم ومراغمة الند.

الجد: وأنت يا عماد؟

عماد: الفتوة: هي مرحلة الشباب ما بين فترتي المراهقة والرجولة.

الجد: الذي ذكرتموه يا أولاد قريب من معنى الفتوة، ولكن الفتوة في الشرع وهو الذي أقصده بسؤالي، وهو الموضوع الذي ينبغي علينا رجالاً وشبابًا وفتية - أن نعتني به ونرعاه ونطبقه في حياتنا.

عماد: إذن ما معنى الفتوة في الشرع يا جدي؟

الجد: الفتوة في الشرع منزلة عظيمة وخلق كريم لا يتحلى به إلا القليل. ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾.

عماد: نحاول أن نكون من هؤلاء القليل بإذن الله.

ياسر وعبد العزيز: نعم نحاول ، والله المستعان.

الجد: لقد ذكرت الفتوة في مجلس سفيان الثوري، فقال: ليست الفتوة بالفسق ولا بالفجور، ولكن الفتوة كما قال جعفر بن محمد: طعام موضوع، وحجاب مرفوع، ونائل مبذول، وبشر مقبول، وعفاف معروف، وأذى مكفوف.

عبد العزيز: ما معنى ذلك يا جدي؟

الجد: أي أن الفتوة: أن تكون في حاجة الخلق، تدفع عنهم الأذى، وتجلب لهم المنافع. وهذا الخلق يا ولدي لا يكون كماله إلا لرسول الله ﷺ فإن كل أحد يقول يوم القيامة: نفسي نفسي. وهو ﷺ يقول:« **أمتي أمتي**».

الأولاد: ﷺ ما أعظم هذا الرسول! وما أكرمه!

ياسر: يا جدي كما عودتنا في مثل هذه اللقاءات أن تضرب لنا أمثلة، وتذكر بعض النماذج التي تبعث فينا الهمة وتحيي فينا النشاط.

الجد: حبًا وكرامة يا ولدي. فالأمثلة كثيرة والنماذج الطيبة متوافرة والحمد لله.

لقد استضاف رجلٌ جماعة من الفتيان في مثل أعماركم فلما انتهوا من الطعام خرجت الخادمة تصب الماء على أيديهم. فتراجع واحد منهم وقال: ليس من الفتوة أن تصب النسوان الماء على أيدي الرجال. فقال فتى منهم: أنا منذ سنين أدخل هذا البيت، ولم أعلم من يصب الماء أهو رجل أم امرأة ؟.

الأولاد: سبحان الله! سبحان الله! إلى هذا الحد!

الجد: نعم يا أولادي. وكذلك الربيع بن خثيم تلميذ عبد الله بن مسعود الذي كان يقول له: لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك. كان الربيع يدخل بيت شيخه ابن مسعود سنين طويلة، وكان يغض بصره دائمًا حتى ظنت الجارية أنه أعمى. فإذا جاء تقول لعبد الله: جاء صاحبك الأعمى.

عماد: والله إن أمر هذا الرجل لعجيب!!

عبد العزيز: ألا أخبر الجارية أنه مبصر؟!

الجد: لم يجد حاجة إلى ذلك.

ياسر: هلاَّ ذكرت لنا نموذجًا آخر؟

الجد: لقد تزوج رجل امرأة فلما دخل عليها رأى بها الجدري. فقال لها: اشتكيت عيني. ثم قال: عميت. وبعد عشرين سنة ماتت المرأة و لم تعلم أنه كان بصيرًا طوال هذه السنين. فسئل الرجل: لماذا فعلت ذلك؟ فقال: كرهتُ أن يحزنها رؤيتي لما بها. فقيل له: سبقت الفتيان.

عبد العزيز: سبحان الله! عشرون سنة وهو بصير، وهي تظن أنه أعمى حتى لا يحزنها لما بها من مرض.

الجد: هذه هي الفتوة يا أولاد. من أجل ذلك قيل له: سبقت الفتيان.

ومن مظاهر الفتوة أن تعفو عمن ظلمك وتحسن إليه.

ياسر: قد يعفو الواحد عمن ظلمه. أما أن يحسن إليه فهذا ما لا ترضاه النفوس، ولا يفعله إلا أكابر الناس وفضلاؤهم.

الجد: وهذا هو المطلوب يا ولدي أن تكون من أكابر الناس وفضلائهم.

عبد العزيز: وكيف يتم ذلك؟

الجد: قد يتم على مضضٍ من النفس، ولكن الأفضل أن يتم بسخاوة نفس، وهي تأمل العوض من الله – عز وجل.

ياسر: قرّب لنا هذا المعنى.

الجد: ذهبت جاريةٌ لصفية أم المؤمنين إلى عمر بن الخطاب تخبره بأن صفية تحب السبت وتصل اليهود ، فبعث عمر إليها يسألها. فقالت:(أما السبت فلم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيها رحمًا فأنا أصلها).

عبد العزيز: وماذا فعلت أم المؤمنين بهذه الجارية؟!

الجد: سألتها: ما حملك على ما صنعت؟!

قالت الجارية: الشيطان. فقالت لها أم المؤمنين رضي الله عنها: فاذهبي فأنت حرة.

الأولاد: سبحان الله! سبحان الله!! تعفو عنها ثم تحسن إليها وتعتقها بدلاً من عقوبتها.

الجد: نعم يا أحبابي هذا الذي أريده منكم أن تحسنوا إلى من ظلمكم.

يسكت الجد قليلاً ثم يقول:

- رحم الله الإمام أحمد بن حنبل يُسجن ويُضرب ويُعذب ومع ذلك يسامح من سجنه وعذبه، ويقول: كل من ذكرني ففي حلٍّ إلا مبتدعًا. وقد جعلت أبا إسحاق يعني الخليفة المعتصم في حلٍّ. وقد رأيت الله يقول: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾.

وكان يقول – رحمه الله -: وما ينفعك أن يعذب الله أخاك في سببك.

عبد العزيز: والله يا جدي إن البونَ بيننا وبين هؤلاء الرجال لشاسعٌ، وإن الفرق بيننا وبينهم لعظيم.

عماد: لقد قرأت أن بعض أصحاب شيخ الإسلام ابن تيمية كان يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه.

الجد: يا ولدي إن شيخ الإسلام هذا أعجوبة.

قال تلميذه ابن القيم: جئت يومًا مبشرًا له بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة وأذى له، فنهرني وتنكر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت عدوِّه هذا الميت.

فعزى أهله وقال لهم: إني لكم مكانه.

ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه.

ياسر: صدقت يا جدي إنه بالفعل أعجوبة. وأي أعجوبة!!

الجد: الأمر الأعجب من ذلك يا ولدي أن تعتذر لمن جنى عليك.

ياسر وعبد العزيز: كيف! كيف أعتذر لمن جني علي؟!

عماد: لا بد يا إخوان أن في هذا الأمر شيئًا. فاصبروا حتى يبينه لنا جدنا العزيز.

الجد: نعم يا أولاد تعتذرون لمن يجني عليكم. ولا تتعجبوا من ذلك. فإن الله يقول: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ .

فإذا علمت يا ولدي أنك كسبت بيديك خطيئة أو ذنبًا فانتقم الله منك على يد من جني وتعدّى عليك فأنت البادئ. وكما يقال: البادي أظلم.

سكت الجد قليلاً ثم قال:

- ماذا ترون يا أولاد؟

عماد: صحيح يا جدي البادي أظلم.

الجد: بذلك تكون أولى وأجدر أن تعتذر لمن جنى عليك. بل تشكره. لأنه كان سببًا في محو ذنوبك التي ارتكبتها بجنايته وتعديه عليك.

عماد: شكر الله لك يا جدي أن أثلجت صدري ، وهديتنا إلى هذا الخُلُق العظيم.